مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 99–116 تاريخ النشر: 17–11–2020



مسيحية التوحيد في الحقبة الأولى من التاريخ المسيحي (منذ بعثة السيد المسيح حتى منتصف القرن الثاني للميلاد) (دراسة استقرائية تحليلية)

Christian Monotheism in the first era of Christian history (Since the mission of Christ until the middle of the second century AD) analytical inductive study

الطالب. محمود عبد الرحمن دادو
dado.plus315@gmail.com
كلية الشريعة –جامعة دمشق–

تاريخ الإرسال: 10–09–2017 تاريخ القبول: 03–06–2020

الملخص:

تُعدّ قضية مسيحية التوحيد من أهم المسائل التي ينبغي البحث فيها؛ وذلك لما يكتنفها من غموض كبير من ناحية، ولضرورة تأصيل المنهج التوحيدي في المسيحية من ناحية ثانية، ولأهمية توثيق المراحل التاريخية التي مرت بها من ناحية ثالثة، ولإيضاح التطور التاريخي الذي تبلورت من خلاله العقيدة المسيحية من ناحية رابعة، ولقد كان لمسيحية التوحيد وجود في جميع أطوار التاريخ المسيحي، فكانت تظهر بشكل واضح أحياناً وغير واضح أحياناً أخرى حسب ما تواجهه من تحديات وصعوبات، وكان أتباع هذه المسيحية يؤمنون بالله الواحد، ولا يعتقدون في السيد المسيح إلا أنه رسول من الله، ولا في الروح القدس سوى أنه ملاك الله وأمين وحيه، حاول الباحث في هذا البحث

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–

ر ت م د: 1112-4040، ر ت م د إ: 2588-204X



المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 99-116 تاريخ النشر: 17-11-2020

تسليط الأضواء على مسيحية التوحيد في الحقبة الأولى من التاريخ المسيحي وتحليل أفكارها وتبيين مضامينها.

الكلمات المفتاحية: مسيحية التوحيد، تيار التوحيد، المسيح.

Abstract:

The issue of Monotheism is one of the most important issues to be considered. This is because of the great ambiguity on the one hand, and the need to consolidate the monotheistic approach in Christianity on the other hand, the importance of documenting the historical stages it has undergone in the third sense, Christianity has a fourth aspect. The Christianity of Monotheism has existed in all stages of Christian history, and it has sometimes been clearly and sometimes unclear as it faces challenges and difficulties, The followers of this Christianity believe in the one God and do not believe in Christ except that he is a messenger of God , Nor in The Holy Spirit is only the Angel of God and the Secretary of His Revelation, In this research, the researcher sought to shed light on monotheism in the early period of Christian history, to analyze its ideas and to clarify its contents

Keywords: Christian Monotheism, Monotheism, Christ

المقدمـــة:

الحمد لله المستحق للشكر والحمد، المتصف بالعظمة والكمال وتمام المجد، والصلاة والسلام على نبيه صادق الوعد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

لا شك أن العقيدة للإنسان هي بمنزلة الروح للجسد؛ لأن التدين فطرة فطر الله الناس عليها، فالإنسان يسعى جاهداً لسد هذا الفراغ، ويتجه في سبيل ذلك إلى تكوين بناء ديني قاصداً من خلاله إرواء نهمه العقائدي وإشباع حاجاته الفطرية والفكرية،

وكلما أمعن الإنسان في سعيه بالاقتراب من الحق الإلهي التوحيدي كان انعكاس هذا السعي أكثر إثماراً وتماسكاً.

ولقد كانت رسالة السيد المسيح عليه السلام داعية إلى الإيمان بالحق التوحيدي ناهية عن التعدد والشرك، فقد قال السيد المسيح، "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" [يوحنا: 3/17]، لكنه ما أن رُفع إلى السماء حتى بدأت أيادي المحرفين تمتد إلى أصول الديانة الموحِّدة، ليبدأ الأصل التوحيدي بالتلاشي، وتظهر بدعة عبادة الثالوث المقدس (الآب والابن والروح القدس).

ومع أن التثليث بقي خامداً ردحاً من الزمن لكنه أصبح ظاهرة عامة بعد القرن السابع الميلادي، أما التوحيد فكانت له الهيمنة حتى أواخر القرن الرابع، وبقي مستمراً كتيارٍ مستقل عن النصرانية المثلثة حتى أيامنا هذه.

ولقد حاولت في هذا البحث تسليط الأضواء على المسيحية الموحدة، وبيان سياقها التاريخي في الحقبة الأولى من التاريخ المسيحي، مما يؤكد أصالة التوحيد في الديانة المسيحية ويوثّق وجود مسيحيين موحدين في الكثير من أصقاع الأرض في شتى الأزمان.

أولاً: أهمية البحث:

تتضح أهمية البحث في موضوع التوحيد والنسق التوحيدي داخل المسيحية في كونه من أكثر الأبحاث خطورة ووعورة لما يكتنفه من غموض مطبق متعمّد، وهو في ذات الوقت من أهم الأبحاث التي يجب على المسلمين أن يلموا بها؛ ليتضح لهم أن الدين الذي بُعث به السيد المسيح إنما هو التوحيد، وأنه قد مرّ على مسيحية التوحيد زمان كانت وحدها هي المهيمنة على المسيحيين في أنحاء العالم.

ثانياً: أسباب اختياره:

1. بيان أصالة التوحيد في الديانة المسيحية.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 99–116 تاريخ النشر: 17–11–2020



2. مواجهة دعوة التثليث بإيضاح الأصل التوحيدي للمسيحية.
3. توثيق وجود تيّار توحيدي مسيحي يشكّل أكثريةً في الحقبة التاريخية الأولى.
4. بيان عقيدة الموحدين المسيحيين فيما يخص السيد المسيح عليه السلام.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

وجدت دراسات قيمة ومتخصصة في مسيحية التوحيد رصداً وتحليلاً، أهمها:

1- (**عيسى المسيح والتوحيد**) تأليف: البرفسور محمد عطا الرحيم.

2- (**تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ**) تأليف: بسمه جستنيه.

تعد الدراسة الأولى مصدراً في تاريخ عقيدة مسيحية التوحيد، فهي تحتوي استقصاءاً كبيراً لسيرورة التيار التوحيدي في المسيحية، لكن هذه الدراسة يغلب عليها السرد التاريخي، وتكاد تخلو من التحليلات إلا نادراً، والدراسة الثانية احتوت على فصل يتحدث عن مسيحية التوحيد بشكل مختصر، لكنها لم تأت بجديد، كما أنها وقعت في خطأ حين ضمت مَن ليس من الموحدين إليهم.

وسوف أحاول في هذا البحث أن أُعيد استقراء مظان وجود مسيحية التوحيد بشكل مختصر، مركزاً على المحاور المهمة ضمن الحقبة التاريخية الأولى، محللاً المعلومات التي تعيننا على الصياغة العامة لتاريخ مسيحية التوحيد.

رابعاً: إشكالية البحث:

تتحدد إشكالية البحث في الأسئلة التالية:

هل المسيحية ديانة توحيدية؟ هل كان المسيحيون الأوائل يؤمنون بوحدانية الله؟ هل التيار التوحيدي أصيل في المسيحية أم أنه مبتدع؟ ما هي المراحل والتطورات التاريخية التي مرّ بها الموحدون المسيحيون التي أدّت إلى إضعاف التوحيد وغلبة التثليث؟ ما هي عقيدة أتباع مسيحية التوحيد في السيد المسيح عليه السلام؟

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 99–116 تاريخ النشر: 17–11–2020

خامساً: منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، أما الاستقراء فقد تتبعت من خلاله المعلومات التاريخية في مظانها، وأما التحليل فقد استخدمته في تحليل النصوص واستنتاج الأفكار.

سادساً: خطة البحث:

تنقسم الدراسة إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة وضمن كل مبحثٍ عدة مطالب كما يأتي:

مقدمة: وتتضمن (أهمية البحث وأسباب اختياره والدراسات السابقة وإشكالية البحث والمنهج المعتمد وخطة البحث)

المبحث الأول: عقيدة أصحاب المسيح – عليه السلام – فيه

المبحث الثاني: مسيحية التوحيد منذ سنة 70م إلى منتصف القرن الثاني

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

كما أني لا أدّعي الكمال في هذا البحث، بل القصور والخطأ هو السمة الطبيعية للجهد البشري، فما كان في هذا البحث من صواب فمن الله وله الحمد والشكر عليه، وما كان من خطأ فمني والله منه بريء، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: عقيدة أصحاب المسيح – عليه السلام – فيه:

كان أصحاب السيد المسيح يهوداً تماماً، يلتزمون بجميع العادات والتعاليم اليهودية، فقد كانوا يذهبون إلى معابد اليهود، ويترددون على الهيكل، وعلى رأسهم بطرس ويوحنا، حيث ثبت أنهما كانا يذهبان إلى الهيكل للدعاء، "وصعد بطرس ويوحنا معاً إلى الهيكل في ساعة الصلاة التاسعة" [أعمال الرسل: 1/3]، ولم يخطر ببالهم تأسيس ديانة جديدة مختلفة عن اليهودية، فلقد كانوا من رعايا اليهود، لكنهم اعتقدوا أن المسيح

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 99–116 تاريخ النشر: 17–11–2020

الموعود قد جاء، وهذا ما تنص عليه دائرة المعارف البريطانية "كانت قد ظهرت فرقة جديدة داخل اليهودية نفسها، وأصحاب هذه الفرقة كانوا يتبعون يسوع الناصري ويعدّونه مسيحاً، ويعدّون أنفسهم من المقربين إلى الله، والصادقين الجدد من بني إسرائيل".[1]

لكن الإشكال الذي قد يرد هنا هو كيف كان أصحاب المسيح يعرّفون توحيد الله، وكيف كانوا يعرّفون المسيح وعلاقته بالله الواحد.؟

يمكننا أن نجيب عن هذا التساؤل من جانبين.

الجانب الأول: هو وضع أصحاب السيد المسيح في السياق اليهودي العام:

والمستند المعرفي لهذا الجانب هو الأساس القائل بيهودية أصحاب السيد المسيح، وكونهم لا يفرقون عن يهود عصرهم سوى باعتقاد واحد هو أن يسوع هو المسيح المنتظر، إذاً فهم يشاركونهم في حيّز عقائدي كبير، وأهم ذلك هو اعتقادهم بالتوحيد.

الجانب الثاني: هو أن نعلم أن عقيدة التوحيد عند السيد المسيح كامنة في تعريفه:

وذلك أن المسيح عليه السلام وأصحابه كانوا ذوي تفكير منطقي، ومن هنا فإنهم لم يفصلوا عقيدتهم في الله والمسيح والعلاقة بينهما تفسيراً لاهوتياً تخالطه مصطلحات الفلسفة، إنما اكتفوا بوصف المسيح وتعريفه بأنه (رجل، عبد، بار، إنسان نبيل)، وهذه الألفاظ إذا فسرت في سياقها التاريخي الطبيعي دلت دلالة قطعية على بشرية المسيح.

وكذلك الناس الذين آمنوا بالسيد المسيح لمشاهدة معجزاته، فإنهم حين عرفوه طابق تعريفهم تعريف أصحاب المسيح الذين خالطوه، وسأنقل بعض النصوص التي توضح ذلك.

---

[1]– بير، (جني)، المسيحية النصرانية، ترجمة: عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية، د.ط/ت، نقلاً عن دائرة المعارف البريطانية، ص122.



❖جاء في إنجيل لوقا ضمن روايته للحوار الذي جرى بين المسيح بعد اختفائه واثنين من حوارييه الذين لم يعرفوه "قال لهما وما هي فقالا المختصة بيسوع الناصري الذي كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب" [لوقا: 19/24].

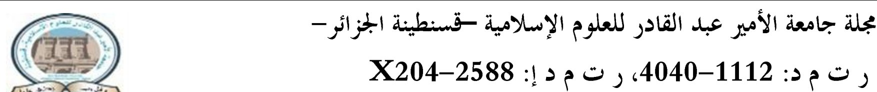
❖جاء في أعمال الرسل أن بطرس ألقى كلمة في مجمع التلاميذ بعد رفع السيد المسيح، فكان مما قال فيه: "أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون... فإن موسى قال للآباء إن نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون في كل ما يكلمكم به، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشعب.... إليكم أولا إذ أقام الله فتاه يسوع أرسله يبارككم برد كل واحد منكم عن شروره" [أعمال الرسل: 22/2، 22/3–26].

❖جاء في إنجيل متى قول المؤمنين بالمسيح لدى استقبالهم: "يبارك الآتي باسم الرب... هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل" [متى: 10/21–11].

يتضح بجلاء من النصوص السابقة أن جميع الذين رأوا السيد المسيح وآمنوا به على اختلاف قربهم منه سواء من رآه مرة أو صاحبه مراراً كلهم يجمعون على تعريف السيد المسيح تعريفاً ينص على عبوديته لله وإنسانيته التامة ونبوته، وأنه هو النبي الموعود في العهد القديم الذي سيرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل، ومعلوم أن النبي في النسق الديني اليهودي يعني إنساناً خالصاً يوحي الله إليه دون أن تداخله صفة ألوهية.

وصدق صاحب كتاب (Dictionary of The Bible) حين قال فيه: "والعهد الجديد لا يترك مثقال ذرة من الشك في بشرية يسوع"[1]

[1]– سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل والامبراطورية الرومانية، ترجمة: حسان إسحاق، منشورات دار علاء الدين، ط2، 2007م، نقلاً عن كتاب هاستنجر، ص82.


مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 99–116 تاريخ النشر: 17–11–2020

المطلب الأول: (كنيسة القدس): أصحاب المسيح يؤسسون فرقة يهودية لا ديانة مستقلة:

بعد غياب السيد المسيح عليه السلام اجتمع أصحابه وأتباعه في القدس وقرروا:

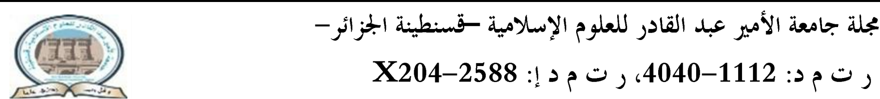
- **مواصلة بشارة يسوع.**
- **المحافظة على وحدتهم عبر تأسيس تنظيم خاص يجمعهم.**

والدراسة التاريخية لكنيسة القدس والقراءة المتمعنة للإصحاح الثاني من كتاب أعمال الرسل تشيران إلى أن أتباع السيد المسيح لم يؤسسوا بعد غيابه مركزاً دينياً مناظراً للمعبد اليهودي في القدس، بل إنهم ظلوا يترددون على المعبد، ويحترمون التوراة، صحيح أنهم أصبح لهم تنظيم خاص لكن زعماء هذا التنظيم – وهم الحواريون – لم يكونوا كهنة على غرار كهنة اليهود، و لم يؤسسوا في القدس أيّة رهبنة تجابه اليهود.

لذا فإن أصحاب السيد المسيح بناءً على ذلك كانوا يشكلون جزءاً من اليهود، أو نقول إنهم فرقة يهودية كباقي الفرق كالفريسيين أو الصدوقيين، وإذا كان لكل فرقة ما يميزها عن غيرها فإن هذه الفرقة تتميز بالإيمان بأن يسوع هو المسيح الموعود، وهذا ما يشير إليه كاتب سفر (أعمال الرسل) حين يشير إلى أن الكنيسة الأولى كانت تبدو كما لو أنها إحدى الفرق اليهودية.[1]

---

[1]– انظر: ماكبي، (هيم)، بولس وتحريف المسيحية، ترجمة: سميرة عزمي، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، د/ط.ت، ص58.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 99–116 تاريخ النشر: 17–11–2020

ولقد كانت مسألة كون المسيح بشراً معترفاً بها دون جدال بينهم، وطبقاً لرواية (آريستد) – وهو أحد المدافعين عن عقيدة المسيحيين الأوائل – فإن عبادة المسيحيين الأوائل كانت توحد الله أكثر من اليهود أنفسهم.[1]

وتقول دائرة المعارف البريطانية واصفةً عقيدة الجماعة المسيحية الأولى: "كانت عقيدة التثليث تبدو لهم ضد التوحيد الإلهي الذي تعلمه الكتب المقدسة، فلذلك أنكروها، و لم يعدّوا يسوع المسيح إلهاً متجسداً، بل عدّوه أشرف خلق الله كلهم"[2]

وتقول دائرة المعارف الأمريكية: "لقد بدأت عقيدة التوحيد كحركة لاهوتية بداية مبكرة جداً في التاريخ، وفي حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين، إن الطريق الذي سار من أورشليم إلى نيقية من النادر القول بأنه كان طريقاً مستقيماً، إن عقيدة التثليث التي أُقرّت في القرن الرابع الهجري لم تعكس بدقة التعليم المسيحي الأول فيما يتعلق بطبيعة الله، بل كانت على العكس من ذلك انحرافاً عن هذا التعليم، إن أغلب المسيحيين لم يقبلوا التثليث، ونجد (ترتليان) وهو متوفى خلال القرن الثالث الميلادي، مسؤولاً عن الفقرة التي تقول إن في أيامه كانت غالبية الشعب ينظرون إلى المسيح باعتباره إنساناً."[3]

يقول الكاردينال (دانيلو) في المقال الذي نشره سنة 1967م في مجلة (دراسات) تحت عنوان (رؤية جديدة للأصول المسيحية واليهودية المسيحية): "لم تكن اليهودية

---

[1]– انظر: عطا الرحيم، (محمد)، عيسى المسيح والتوحيد، ترجمة: عادل محمد، مركز الحضارة العربية، (القاهرة)، ط1، 2001م، ص60.

[2]– بير، المسيحية النصرانية، نقلاً عن دائرة المعارف البريطانية، ص124.

[3]– عبد الوهاب، (أحمد)، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، مكتبة وهبة، د/ط.ت، نقلاً عن دائرة المعارف الأمريكية، ص104.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204



المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 99–116 تاريخ النشر: 17–11–2020

المسيحية – يقصد المسيحية الموحدة – سائدة فقط في القدس وفلسطين طيلة القرن الأول، بل تطورت البعثة اليهودية المسيحية فيما يبدو في كل مكان قبل البعثة البوليسية".[1]

إذا أضفنا هذا إلى ما سبقت الإشارة إليه في عقيدة أصحاب المسيح في المسيح أمكن أن نجزم أن كنيسة القدس بقيادة الحواريين كانت تدين بالتوحيد الخالص، وتلتزم بالناموس تماماً كما جاءت في تعاليم المسيح، وإذا كان هذا قرار البحوث العلمية المباشرة فإن كلمة البحوث العلمية غير المباشرة المتمثلة بالحديث النبوي توافق هذا القرار، حيث يقول الرسول محمد (ص): "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويهتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون".[2]

المطلب الثاني: يعقوب العادل:

كان يعقوب من عائلة المسيح ومن أقرب أقربائه، وكان يعيش حياة زهد وتقشف، ويقضي معظم وقته في المعبد يصلي من أجل مغفرة خطايا الشعب اليهودي[3]، ولقد تزعّم كنيسة القدس التي جمعت شمل أتباع السيد المسيح بعد رفعه، وكما يقول

[1]– بوكاي، (موريس)، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار الأفكار، ط1، 1991، ص72، نقلاً عن المقال المذكور.

[2]– رواه مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ص)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت)، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم (80)، 69/1.

[3]– انظر: سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل والامبراطورية الرومانية، ص90.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204

المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 99–116 تاريخ النشر: 17–11–2020

(بوكاي): "ويمكن اعتباره كعمود اليهودية المسيحية الذي ظلّ عن إرادة ملتزماً بخط اليهودية أمام المسيحية البولسية".[1]

أما عن موته فتذكر كتب التاريخ المسيحي أنه حُكم عليه بالموت رجماً، ونُفِّذ فيه الحكم سنة 63م[2]، والأمر المستفاد مما تقدم هو أن يعقوب كان قد تزعّم كنيسة القدس أولى الكنائس.

المطلب الثالث: القديس برنابا (صاحب الإنجيل الشهير):

(برنابا) تعني أي (ابن الخدر) وكان يهودياً، ولد في قبرص، وكان يُعرف بـــ (يوسف) أو (يوسيس)، وسمّاه الحواريون (برنابا)، وبالرغم من أن ما ذكر عنه في الأناجيل الأربعة يُعدّ قليلاً لكننا نعلم من بعض الكتب الأخرى في العهد الجديد أنه قد أصبح أحد زعماء الحواريين بعد غياب السيد المسيح عليه السلام، ولقد بذل جهداً أكبر بكثير من الآخرين في التمسك بتعاليم المسيح الحقيقية ومعارضة البدع.[3]

ولقد كان برنابا بصحبة السيد المسيح منذ بداية بعثته، ويفصح إنجيله عن إخلاصه الشديد للسيد المسيح، وكان حافظاً لتعاليمه، حتى أنه حصل خلال وقت قصير على شهرة كبيرة مذكورة في تعاليم الرسل كرجل لديه القدرة على نقل تعاليم سيده بأمانة، حتى أنه حين قرر الحواريون نصب حواري مكان (يهوذا) من هؤلاء الذين كانوا يلازمون السيد المسيح اختاروا رجلين أحدهما "يوسف الذي يدعى بارسابا الذي كان لقبه يوستاس ومتياس" [أعمال الرسل: 23/1]، ولا يوجد أي رجل آخر يدعى (يوسف) من أصحاب السيد المسيح، وهو مذكور كما مر في هذا الإعلان باسم

---

[1]– بوكاي، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص72.

[2]– انظر: سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل والامبراطورية الرومانية، ص91 – 92.

[3]– انظر: عطا الرحيم، عيسى المسيح والتوحيد، ص 54.

(برسابا)، وباقي كتب العهد الجديد ذكرته باسم (برنابا)، ومن المعلوم أن (برنابا) كتب إنجيلاً بيّن فيه تعاليم السيد المسيح الحقة كما أخذها منه، وهذا الإنجيل طافح بالتوحيد واعتبار المسيح عبد الله المخلوق المرسل منه إلى العالم[1]، كذلك مما يزيد من مصداقية هذا الإنجيل أن صاحبه كان أول مبعوث تبشيري معتمد من قِبَل أصحاب السيد المسيح، وهذا ما يرويه سفر (أعمال الرسل) "وكانت يد الرب معهم فآمن عددٌ كثير ورجعوا إلى الرب، فسُمع الخبر عنهم في آذان الكنيسة التي في أورشليم فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى أنطاكية" [أعمال الرسل: 11/21-22].

المبحث الثاني: مسيحية التوحيد منذ سنة 70م إلى منتصف القرن الثاني:

المطلب الأول: نهاية كنيسة القدس وغيابها في التاريخ:

في سنة 70م دخل الرومان مدينة القدس وهدموها بأكملها وهدموا الهيكل، وتحققت نبوءة السيد المسيح عن الهيكل بقوله: "الحق أقول لكم إنه لا يترك ههنا حجر على حجر" [متى: 2/24]، وكان القتلى بالآلاف، ولم يكن هناك تفريق بين يهودي مسيحي ويهودي غير مسيحي بالنسبة للرومان، إذ إن الجميع كانوا يرفضون أن يقدموا القرابين للإمبراطور والآلهة الوثنية.[2]

ولعل الاحتلال الروماني هذا كان السبب الأهم في خفوت نجم كنيسة القدس، وذلك نتيجة تبعثر أتباعها وقتل كثير منهم، فانزاحت عنها المركزية الدينية التي كانت تحظى بها، بالتالي بدأت تظهر البدع الدينية بشكل متكاثر، لكن أتباع هذه البدع لم

[1]- انظر: المرجع السابق، ص53-54.

[2]- انظر: البار، (محمد علي)، دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد المسيحية، دار القلم، (دمشق)، د/ط.ت، ص416-417.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 99–116 تاريخ النشر: 17–11–2020

يكونوا كثيرين في تلك الحقبة، وكانت الأغلبية لتيار التوحيد، وظهر أيضاً فرق مسيحية أخذت الراية من كنيسة القدس، وجعلتها قدوةً لها، وهذا ما سأعرضه في المبحث القادم.

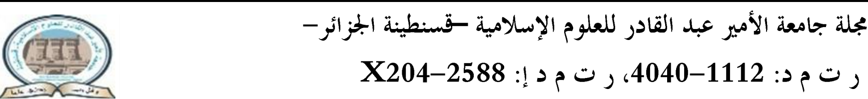
بعد الاجتياح الروماني للقدس وهزيمة اليهود فيها شكّل مسيحيو فلسطين مجموعة مغلقة خارج المجرى الأساسي الذي تشكّل الدين المسيحي في إطاره، وفي هذه الفترة المقدّرة بثلاثة أرباع قرن امتدت مسيحية التوحيد التي كانت تمثلها كنيسة القدس بقيادة حواريي السيد المسيح امتدت وتفرعت إلى عدة فرق، وحافظت هذه الفرق على انتمائها اليهودي، ولقد وصلنا بعض المعلومات عن فرقتين في تلك الفترة هما الأبيونيون والناصريون.

المطلب الثاني: الأبيونيون (Ebionites):

يعدّ الأبيونيون امتداداً مباشراً لكنيسة القدس، إذ بعد تدمير هذه الكنيسة انتقل أتباعها إلى شرقي الأردن، لذا فإنه يُؤرّخ لهذه الفرقة أنها ظهرت بعد خراب أورشليم الأول وهدم كنيسة القدس سنة 70م، وأقوال ومعتقدات هذه الفرقة وانتماؤها اليهودي يطابق ما كانت عليه كنيسة القدس.

ولقد كان من المتفق عليه بينهم أن الله واحد أحد، لم يحل في شيء من مخلوقاته لا عيسى ولا غيره، وأن المسيح ما هو إلا عبد من عباد الله وبشر مخلوق، وإضافة إلى ما سبق فإنهم كانوا يرون إلزامية الناموس (الشريعة اليهودية)، إذاً فمجموع هذه النقاط الثلاث (وحدانية الله وبشرية المسيح وإلزامية الناموس) هي المميزات ميزت (الأبيونيين) عن غيرهم، ووحدت كلمتهم.[1]

[1]– انظر: سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، ص93، وأبو طالب، (نصر الله)، تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد (ص)، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.55a.net، ط2، ص24.



ولقد كانت لهم في السيد المسيح آراء هي نفس آراء كنيسة القدس التي تزعمها الحواريون، لا سيما إذا تذكرنا أن الحواري يعقوب العادل قائد كنيسة القدس كان واحداً من أكثر الشخصيات تبجيلاً عند الأبيونيين، وكان قدوتهم الأولى.[1]

أما موقفهم من بولس فقد كان عدائياً جداً تجاهه وتجاه أصحابه، وهم يعدّونه النبي الكذاب الذي حذّر منه المسيح مراراً، وهو الخائن والمنافق الذي زوّر تعاليم السيد المسيح[2]، وهذا الاعتقاد يشكّل نقطة التقاء مع كنيسة القدس أيضاً في خلافها الحاد مع بولس.

وكان هؤلاء الأبيونيون يعتقدون إنجيلاً خاصاً بهم، وهو غير الأناجيل الأربعة المتداولة، يسمونه إنجيل العبرانيين، وهذا الإنجيل هو إنجيل متى لكن بصورة معدّلة، ولقد وصلتنا بعض المقاطع منه.[3]

وفي بداية نشأتهم انتشرت أفكارهم بقوة وكثر أتباعهم في نواحي فلسطين، ثم انتشرت في سورية وآسية الصغرى، ووصلت أيضاً إلى الغرب وانتشرت في روما، فكان لها أتباع لا يستهان بعددهم، واستمر وجودهم بهذه القوة حتى القرن الرابع للميلاد، لكن بعد اعتناق الإمبراطورية الرومانية للمسيحية أخذت تضطهدهم، فضعف تواجدهم، ولم يبق لهم سوى تأثير قليل، هذا في الغرب فقط، أما في الشرق فقد استمروا حاضرين لهم فيه مدارسهم وكنائسهم حتى ما بعد القرن الرابع، لكنهم اندرجوا تحت اسم آخر

---

[1]– انظر: سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، ص92.

[2]– انظر: بوكاي، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص392.

[3]– انظر: سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، ص93، وانظر: عبد المسيح، (عادل)، موسوعة آباء الكنيسة، دار الثقافة المسيحية، د/ط.ت، 293/1، والوافي، (علي)، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، دار نهضة مصر، (القاهرة)، د/ط.ت، ص124.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 99–116 تاريخ النشر: 17–11–2020



هو (اليهود المسيحيون)، وبقيت تترد أخبارهم حتى حقبة القرون الوسطى، كما وصل القليل من كتاباتهم أيضاً، ففي سوريا انعكست آثار وجود الجماعة اليهودية المسيحية في بحث كُتب ضد المسيحيين، وقد استخدم مؤلفه مصادر يهودية مسيحية لكي يثبت أن يسوع لم يكن ابن الله.[1]

المطلب الثالث: الناصريون (Nazarens):

يتفق المؤرخون والباحثون أن هؤلاء الناصريين هم يهود متنصرون ظلوا يلتزمون بالشريعة اليهودية والناموس الموسوي، فهم من ناحية إلزامية الناموس يشتركون مع الأبيونيين سواء قلنا إن إلزامية الناموس للذين هم من أصل يهودي فقط أو للجميع، فإذا تجاوزنا نقط الاتفاق هذه لنستطلع قول الناصريين في حيز العقيدة بأنه هل الله واحد أحد متعال لم يحل في المسيح ولم يتخذه ابناً له حقيقة، أم أن الإله قد حل في المسيح وأن المسيح يوجد فيه طبيعة إلهية؟ هنا تفترق الطرق وتتباين الآراء بين آخذٍ بالفرض الأول وهو الأرجح، وبين متشبث بالفرض الثاني.[2]

أما عن نشأتهم فإن أكثر المؤرخين أمثال (جيروم ق4) يتفقون على أنهم عاشوا في البرية بالتحديد في شرق الأردن، ويذكر البعض أنهم هربوا إليها بعد سقوط القدس سنة

[1]– انظر: جستنيه، (بسمه)، تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ، دار القلم، (دمشق)، ط1، 1420هـ – 2000م، ص300، وبوكاي، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص70–72، وسفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية، ص93، وعلي، (كابان)، الإصلاح الديني في المسيحية مقارنة بالإصلاح الفكري في الإسلام، دار دجلة، (عمّان)، ط1، 2010م، ص24.

[2]– انظر: عبد المسيح، موسوعة آباء الكنيسة، 239/1، والبار، دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد المسيحية، ص392.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 99–116 تاريخ النشر: 17–11–2020



70م، وظلوا منتشرين في كنائس سورية حتى ختام القرن الرابع.[1]

يتبين مما سبق أن مسيحية التوحيد هي الأصل الثابت فهي التي نادى بها المسيح عليه السلام، وهي التي نادى بها الحواريون وجماعة كنيسة القدس، وعلى رأسهم يعقوب وبطرس وبرنابا الذي أبى إلا أن يسطّر إنجيلاً يبين فيه الحق الذي هم عليه، والباطل الذي عليه بولس وأتباعه، وأن الوريث الحقيقي للحواريين امتد في جماعتي الأبيونيين والناصريين الذين استمر وجودهم وحضورهم حتى أواخر القرن الرابع.

الخاتمـــة: بعد العرض السابق لتاريخ مسيحية التوحيد نخلص إلى النتائج التالية:

1- بدأت المسيحية الموحدة مع السيد المسيح عليه السلام الذي نادى بدعوة التوحيد.

2- ثبت بالدليل أن التوحيد وُجد في عصر الحواريين وأنهم أسسوا كنيسة القدس الموحِّدة.

3- تبيّن وجود أعلام كبار حملوا لواء التوحيد بعد رفع السيد المسي عليه السلام كيعقوب العادل وبرنابا.

4- ظل التوحيد هو المسيطر على معظم المسيحيين حتى بدايات القرن الثاني.

5- في أواخر القرن الثاني والنصف الأول من القرن الثالث تعادل التوحيد المسيحي مع اللاتوحيد، وصار أحدهما يُغالب الآخر.

6- تبين أثناء البحث الغموض الشديد على أخبار المسيحيين الموحدين، لا سيما في القرون الثلاثة الأولى.

التوصيات المقترحة:

[1]– انظر: عبد المسيح، موسوعة آباء الكنيسة، 239/1.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204



المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 99–116 تاريخ النشر: 17–11–2020

1- لا زال الكثير من الغموض يحيط بتاريخ مسيحية التوحيد، ولعل اتجاه الدراسات الحديثة إلى هذا النوع من الدراسة يساعد في حل الكثير من إشارات الاستفهام التي تحيط بتاريخ مسيحية التوحيد.

2- الاستعانة بالمراجع الأجنبية باللغات المختلفة يشكّل عاملاً مهماً في تحديد الأطر العامة لتاريخ مسيحية التوحيد وإيضاح المحاور العامة التي تساعد في صياغة العامة لتاريخها.

3- لا بد من اتجاه الدراسات أيضاً إلى الحركات المسيحية الموحدّة التي شكّلت تياراً مستقلاً عن النصرانية المثلثة كحركة (السوسانية).

4- تطور الفكر التوحيدي المعاصر في المسيحية بحاجة إلى جهود علمية بنّاءة تكشف عن مضامينه وتوضح عقيدته وتحلل أحكامه.

المراجع

1. البار، (محمد علي)، دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد المسيحية، دار القلم، (دمشق)، د/ط.ت.

2. بوكاي، (موريس)، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار الأفكار، ط1، 1991.

3. بير، (جني)، المسيحية النصرانية، ترجمة: عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية، د.ط/ت

4. جستنيه، (بسمه)، تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ، دار القلم، (دمشق)، ط1، 1420هـ — 2000م

5. سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل والامبراطورية الرومانية، ترجمة: حسان إسحاق، منشورات دار علاء الدين، ط2، 2007م

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 99–116 تاريخ النشر: 17–11–2020



6. أبو طالب، (نصر الله)، تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد (ص)، موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.55a.net، ط2

7. عبد المسيح، (عادل)، موسوعة آباء الكنيسة، دار الثقافة المسيحية، د/ط.ت

8. عبد الوهاب، (أحمد)، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، مكتبة وهبة، د/ط.ت

9. عطا الرحيم، (محمد)، عيسى المسيح والتوحيد، ترجمة: عادل محمد، مركز الحضارة العربية، (القاهرة)، ط1، 2001م

10. علي، (كابان)، الإصلاح الديني في المسيحية مقارنة بالإصلاح الفكري في الإسلام، دار دجلة، (عمّان)، ط1، 2010م

11. ماكبي، (هيم)، بولس وتحريف المسيحية، ترجمة: سميرة عزمي، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، د/ط.ت

12. مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ص)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت).

13. الوافي، (علي)، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، دار نهضة مصر، (القاهرة)، د/ط.ت